الكلمة الأخيرة

محمد الأحمد

« عن السينما السورية »

١. بعد سنوات عديدة من الإغلاق لظروف خارجة عن إرادتنا افتتح السيد وزير الثقافة الدكتور رياض نعسان آغا صالة الكندي بدمشق بتظاهرة سينمائية ضخمة ضمت أعمالاً سينمائية لمخرجين كبار مثل : مايكل مور ، كلينت إيستوود ، بيدرو المودوفار ، جيوسيبي تورناتوري ، كوستا غافراس ، الفونسو كوارون، كارلوس ساورا ،انطوني مينغيلا ، ستيفن سودربيرغ، هوهسياوهسين وغيرهم،لتنضم إلى صالات المؤسسة العامة للسينما المحدثة في اللاذقية وحمص.لطالما كانت صالة الكندي ذات الماضي المجيد مرتعاً لأهل الثقافة والفن يتابعون فيها كل مدارس السينما التي تعاقبت ورسمت أثرها في الزمن : الموجة الجديدة في فرنسا ، السينما الحرة في بريطانيا ، الواقعية الإيطالية ورموزها الخالدة ،السينما الاميركية الطليعية، التيارات الفكرية في سينما أوروبا الشرقية وأفلام كبار مخرجي السينما العالمية : هيتشكوك ، شابلن ،بونويل ، بيرغمان ،كوروساوا ، ساورا، التمان والكثير سواها . عادت الحياة مجدداً إلى هذه الصالة العريقة الحميمة وتقررت لها برمجة قوامها أفلام حديثة راقية تحافظ على مكانتها القديمة وتساير في الوقت نفسه الذائقة الجديدة للفن السينمائي وما طرأ عليه من تبدلات وملامح متغيرة . صالة الكندي افتتحت أبوابها من جديد لاستقبال محبي السينما الجدد وروادها الأوائل ممن واكبوها مذ افتتحت في نهاية الستينيات من القرن المنصرم بفيلم « رجل وامرأة » لكلود لولوش وتابعوا على شاشاتها أجمل قصص الحب واحتفظوا في مخيلاتهم المكتظة أجمل الحكايات، أنبل الذكريات وأعمق لحظات الزمن .

٢.اشتهرت المؤسسة العامة للسينما .على قلة إنتاجها السينمائي . بتقديم فكر سينمائي خلاّق وقدرة على فرض أفكارها الغنية في محافل سينمائية عربية ودولية،إذ يندر أن يتواجد فيلم سوري في مهرجان ما دون أن يخرج بجائزة مستحقة وسط منافسة من أفلام تنتمي إلى صناعات سينمائية أكثر عراقة وتطوراً . فبعد فوزه بالجائزة البرونزية لمهرجان دمشق السينمائي الدولي (٢٠٠٧) ، شهدت الشهور الاخيرة حلول فيلم «خارج التغطية» لعبد اللطيف عبد الحميد ضيفاً مكرّماً على مهرجانات عديدة آخرها مهرجان سنغافورة السينمائي الدولي الذي منحه الجائزة الكبرى للجنة التحكيم ولعل الحفاوة الابرز تمثلت باختياره للتكريم في متحف الفن بروما هذا البيت الثقافي العريق الذي كرمت على منصته أسماء فذة على شاكلة : لوي بونويل ، إنغمار بيرغمان ، غلوبير روشا، ألفريد هيتشكوك ، فيديريكو فيلليني ، أمير كوستوريتسا، وارنر هيرزوغ وسواهم. فيلم سوري آخر هو « الهوية » لغسان شميط أصاب نجاحاً وتقديراً أينما عرض : كاد أن يفوز بذهبية مهرجان القاهرة السينمائي الدولي لولا حسابات طرأت في اللحظة الاخيرة ، نال جائزة مصطفى العقاد لأفضل إخراج في مهرجان فجر بطهران ومؤخراً حصد الجائزة الكبرى لمهرجان تطوان في ظل منافسة عربية شديدة لأعمال من توقيع يسري نصر الله وحسن زينون وفاضل الجعايبي وأحمد المعنوني وأخرى دولية قطفت جوائز هامة في مهرجانات أخرى ، وقد وصفه الفنان الكبير حسين فهمي . العربي الوحيد في لجنة التحكيم . بأنه عمل غني ، مبهر بتقنيته العالية وشدة تأثيره الامر الذي منحه الجائزة بالإجماع . « خارج التغطية » و «الهوية » في طريقهما للعرض الجماهيري في صالة الكندي بعد أن تم تحديثها ومدها بآخر ما توصلت له تقنيات العرض السمعية والبصرية .

٣. سينما المؤلف جنس سينمائي أرخى بظلاله على نتاجات المؤسسة العامة للسينما في الثمانينات والتسعينات وصبغ لغتها بلون واحد كان يتدرج من حيث الدرجة اللونية الواحدة من فيلم لاخر وعلى الرغم من تميز بعض الافلام التي تنطوي تحت هذا الجنس خرجت أصوات تنادي بأن لا تكون جميع أفلامنا السورية شديدة الشبه مرتكزها نفس سينمائي بعينه مهما اختلفت البيئات المعروضة وتباينت اللهجات المحكية في هذا الفيلم أو ذاك.من هنا تعاملنا في المؤسسة مع هذه القضية الإشكالية بجدية، فبعض ما يقال صحيح : لا بد من أن يكون المشهد السينمائي أكثر شمولية وغنى ولا بد من أن نفتح ذراعينا لافكار جديدة وافدة عبر نافذة الادب فكانت مجموعة من الافلام المستقاة من أدبنا السوري : «حسيبة» لريمون بطرس عن رواية لخيري الذهبي ، « دمشق يا بسمة الحزن » لماهر كدو عن رواية لإلفة الادلبي ، « سبع دقائق إلى منتصف الليل » لوليد حريب عن نص أدبي لحسن سامي يوسف ، « الرواية المستحيلة » لسمير ذكرى عن رواية لغادة السمان وفي الطريق « هوى» لواحة الراهب عن رواية هيفاء بيطار و« موزاييك دمشقي » لفواز حداد و « بوابة الجنة » لحسن سامي يوسف. هذه النقلة السينمائية صوب الادب تشكل في ما أرى تجربة هامة لرفد السينما السورية بمضامين ورؤى وحكايات مختلفة توسع الطيف ، تتيح التواجد لألوان أخرى وتنقل التجربة الذاتية إلى فضاءات أكثر رحابة .